الباب الثاني

التعليم الإسلامي

٢،١- مفهوم التعليم الإســـلامي

٢،٢- التعليم والتشريع الإسلامي

٢،٣- موقف السلف الصالح من العلم والتعليم

٢،٤- دور العلم الشرعي الضروري في بناء جيل مسلم

٢،٥- مكانة اللغة العربية في التعليم الإسلامي

٢،٦- دور التعليم التثقيفي في تحصين الأمة

٢،٧- علاقة التعليم بالتربية الدعوية

Prince of Songkla University Pattani Campus

الباب الثاني
التعليم الإسلامي

٢،١- مفهوم التعليم الإسلامي

٢،١،١- معنى العلم

عَلِمَهُ، كسَمِعَهُ عِلْماً بالكسرِ عَرَفَهُ وَ عَلِمَ هو في نفسه، وَ رَجُلٌ عالِمٌ وعليمٌ جَمع عُلَمَاءَ، وَ عُلاَّمٌ كَجُهَّالٍ وَ عَلَّمَهُ العِلْمَ تعليماً وعلاَّماً ككذَّاب، وأعلَمَهُ إياه فَتَعَلَّمَهُ والعَلاَّمَةُ مُشَدَّدة وكشدَّاد وَ زُنَّار والتِعْلَمَةُ كزبْرجة والتِعْلامةُ العالِمُ جداً والنَسَّابَةُ وعالَمَهُ كَنَصرهُ غَلَبَهُ عِلْماً، (الفيروز آبادي، ١٣٧١هـ-١٩٥٢م: ١٥٥/٣)، ويضيف محمد فريد بأن (عَلَمه) يعلَمُه ويعلِمه عِلْماً وسمه، وعلمَ شفته يعلمها شقها، وعَلِمه يعلَمه علماً تيقنه وعرفه، وعَلِمَ يَعْلَم علماً انشقت شفته العليا فهو أعلم، وعلَّمه العلم جعله يتعلمه وأعلمه الخبر، أخبره به، و (تعلَّم الأمرَ) اتقنه. و (تَعلَّمْ) أي اعلم: والعلاّم والعلاّمة الكثير العلمِ. والعليم المتصف بالعلم، (محمد فريد، د.ت: ٥٨٣/٦).

والعِلْمُ نقيض الجهل، عَلِم عِلْماً وعَلُمَ هو نفسه، ورجل علمٌ وعَلِيمٌ من قومٍ عُلماءَ فيهما جميعاً، (ابن منظور الأفريقي، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م: ٤١٧/١٢). وكلمة العلم من أشيع الكلمات المستعملة قديماً وحديثاً، وهي في كل دور من أدوارها تطلق على ما يضاد الجهل على الإطلاق، وكثيراً ما لحق بها التخصيص في أحوال معينة فصارت تعني ما يضاد الجهل بنوع محدود من المعارف فلنعتبر حال هذه الكلمة عند العرب مثلاً في حال جاهليتهم فقد كانت تطلق على ما ينافي الجهل بمعارف الجاهلين المحدودة، وكانت لا تتعدى الشعر والكهانة والقيافة والخطابة والأنساب، فلما ظهر الإسلام كان يراد من العلم ما ينافي الجهل بما ظهر من المعارف الجديدة وهي الكتاب والسنة وأخبار الملاحم.

Prince of Songkla University Pattani Campus

ولما ازدادت معارف العرب صارت تطلق على ما ينافي الجهل بما ظهر من المعارف الجديدة كالفقه والتفسير وشرح السنة والتاريخ وطبقات رواة الحديث والنحو. ثم انتشرت العلوم الكونية فيهم، وتشبعت المعلومات لديهم فصارت يستعملها كل فريق فيما هو بسبيله فاتسع مدلولها اتساعاً يناسب اتساع مجالات المعارف الجديدة، (محمد فريد، د.ت، ٦/٥٨٣-٥٨٤).

ويورد آخرون معناً أشمل من معناه الأول حيث قيل:

العلم هو: المعرفة، وهو نقيض الجهل.

والفقه هو: الفهم والعلم.

والثقافة هي: أسلوب الحياة السائد في مجتمع بشري ما (علي عبد الحليم، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م، ص١٦٦).

قال سيبويه: يقول عُلَماء من لا يقول إلا عالِماً. قال ابن جني: لَمَّا كان العِلْم قد يكون الوصف به بعدَ المزاولة له وطول المُلابسة صار كأنه غريزة، ولم يكن على أول دخول فيه، ولو كان كذلك لكان مُتعلِّماً لا عالِماً، فلما خرج بالغريزة إلى باب فَعُل صار عالِمٌ في المعنى كعَليم، فكُسِّر تكْسيره، ثم حمَلُوا عليه ضده فقالوا جُهلاء كعُلماء، وصار عُلماء كحُلماء لأن العِلْم مَحْلَمةٌ لصاحبه، وقال ابن بري: وجمع عالم عُلماء، ويقال عُلاَّم أيضاً؛ قال يزيد بن الحَكَم:

ومُسْتَرِقُ القَصائد والمُضاهي،

سواءٌ عند عُلاَّم الرِّجـــالِ

(ابن منظور الأفريقي، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م: ١٢/٤١٧).

وعلاَّمٌ وعلاَّمةٌ إذا بالغت في وصفه بالعِلْم أي عالم جداً، والهاء للمبالغة، كأنهم يريدون داهيةً من قوم علاَّمين، وعُلام من قوم عُلاَّمين؛ هذه عن اللحياني. وعَلِمْتُ الشيءَ أعلمه عِلْماً: عرفتُه. قال ابن برِّي: وتقول علم وفَقِه أي تعلَّم وتفقَّه، وعَلُم وفقُه أي ساد العلماء والفقهاء، والعلاَّم والعلاَّمة: النَّسَّابة وهو من العِلْم. (انظر: ابن منظور الأفريقي، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م: ١٢/٤١٧).

Prince of Songkla University Pattani Campus

ويقالُ: تعلَّم في موضع اعْلَم. وفي حديث الدجال: تَعلَّموا أن ربَّكم ليس بأعور بمعنى اعْلمُوا، وكذلك الحديث الآخر: تَعَلَّموا أنه ليس يرى أحدٌ منك ربه حتى يموت، كل هذا بمعنى اعلموا؛ وقال عمرو بن معديكرب:

تَعَلَّمْ أنَّ خيْرَ الناسِ طُراًّ

قتيلٌ بين أحْجارِ الكُلاب

قال ابن بري: البيت لمعديكرب بن الحرث بن عمر بن حُجْر آكل المُرار الكِنْدي المعروف بغَلفاء يَرْثي أخاه شُرَحْبيل، وليس هو لعمرو بن معديكرب الزُّبَيدي؛ وبعده:

تداعتْ حولهُ جُشَمُ بن بَكْرٍ

وأسْلَمَهُ جَعاسِـــيسُ الرَّباب

قل: ولا يستعمل تَعَلَّم بمعنى اعلم إلا في الأمر؛ قال: ومنه قول قيس بن زهير:

تعلَّمْ أنَّ خيرَ الناس مَيْتــاً

وقول الحرث بن وَعْلة:

فتَعَلَّمي أنْ قدْ كَلفتُ بكم

(ابن منظور الأفريقي، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م: ١٢/٤١٧-٤١٨).

وقال: واستُغْني عن تعلَّمتُ بعَلِمْتُ. قال ابن السكيت: تَعَلَّمتُ أن فُلاناً خارج بمنزلة علِمْتُ. وتعالَمَه الجميعُ أي عَلِمُوه، وعالَمَه فَعلَه يعْلُمُه، بالضم: غلبه بالعِلْم أي كان أعلم منه، وحكى اللحياني: ما كنت أراني أن أعلُمَه؛ قال الأزهري: وكذلك كل ما كان من هذا الباب بالكسر في يَفْعِل فإنه في باب المغالبة يرجع إلى الرفع مثل ضارَبْتُه أضرُبُه. وعلِم بالشيء: شَعر. يقال: ما علمتُ بخبر قدومه أي ما شعرت، ويقال: استعلِم لي خَبَر فلان وأعْلِمْنيه حتى أعْلَمَه، واستَعْلَمَني الخبرَ فأعْلَمتُه إياه. وعلم الأمر وتعَلَّمه: أتقنه، وقال يعقوب: إذا قيل لك اعْلم كذا قلت قد علِمْتُ، وإذا قيل لك تعلَّم لم تقل قد تَعَلَّمْتُ؛ وأنشد:

تَعَلَّمْ أنَّهُ لا طيْـــرَ إلاَّ

على مُتَطَيِّرٍ، وهي الثُّبُـــور

Prince of Songkla University Pattani Campus

وعلِمتُ يتعدى إلى مفهولين، ولذلك أجازوا علِمْتُني كما قالوا ظَنَنتُني ورأيتُني وحسِبتُني، تقـــول: عَلِمْتُ عبدالله عاقلاً، ويجوز أن تقول علمت الشـــيء بمعنى عرفتـــه وخبرته. (ابن منظور الأفريقي، ١٤١٠هـــ-١٩٩٠م، ١٢/٤١٧-٤١٨).

والعِلْم هو الذي يتطور وليس الدين، فالعِلْم هو أثر للإنسان لاشك، فيخضع لسنة الحياة الإنسانية، يتخلف بتخلف المجتمع الإنساني فيه، ويتقدم بتقدم المجتمع والإنسان فيه، والعِلْم هو المعرفة التي يحصلها الإنسان عن الوجود، ومن حركته فيه، وكشفه عن جوانبه، (محمد البهي، ١٣٩٥هـــ-١٩٧٥م، ص٤٥٨).

ويضيف لواء أ.ح.الدكتور فوزي طايل بأن العلم هو كل ما وصل إلى إدراك الإنسان من معارف، مرتبة بطريقة نظامية، ومكتسبة بالملاحظة، أو التجربة، أو الاستنباط، أو التلقين، أو الوحي والإلهام، والعلم هو القوة، وبحسن تطبيقه وتوجيهه تبني قوى الأمة، (فوزي محمد طايل، ١٤١٨هـــ-١٩٩٧م، ص٣٣).

والعلم نعمة من نعم الله سبحانه على عباده، حيث قال تَعَالى: ﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولاً مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ۞ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴾ [سُورَةُ البَقَرَة: الآيَةُ ١٥١- ١٥٢]، وفي هذه الآيَة الكريمة تذكير ببعثة الرَّسُول ﷺ، وما تضمنته من التزكية والتطهير من الرذائل والدنس، والخروج من الشرك إلى التوحيد، وتعلم الكتاب والحكمة، أي القرآن والسنة، فبعد أن كانت هذه الأمة في جهل الجاهلية وسفه القول، انتقلت ببركة رسالته ﷺ إلى حال الأولياء وسجايا العلماء، فصاروا علماء أبراراً صادقين.

قال ابن كثير رحمه الله: "ولهذا نَدَبَ الله المؤمنين إلى الاعتراف بهذه النعمة، ومقابلتها بذكره وشكره وقال: ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴾ [سُورَةُ البَقَرَة: الآيَةُ ١٥٢]" وعن زيد بن أسلم: "تذكرني ولا تنساني، فإذا ذكرتني فقد شكرتني، وإذا نسيتني فقد كفرتني" قال الحسن البصري وغيره: "إن الله يذكر من ذكره، ويزيد من

Private of Songkla University Pattani Campus

شكره، ويعذب من كفره"، وفي الحديث الصحيح يقول الله تَعَالى: "من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه"، (ابن حنبل، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م: ١٥٣/٩)، ومن شكر النعمة إظهارها بالفعل وفي الحديث الذي رواه أهل السنن "من أنعم الله ﷻ عليه نعمة فإن الله ﷻ يحب أن يرى أثر نعمته على خلقه" أو قال "على عبده" (ابن حنبل، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م: ٨٠/١٥)، (عبدالرحمن العبيد، ١٤١٤هـ، ص٥٤٧ -٥٤٨).

٢،١،٢- معنى العلم عند الأوربيين

ولكنها اليوم تعني في أوروبا مجموع المعارف الإنسانية المؤيدة بالدلائل الحسية وجملة النواميس التي اكتشفت لتعلل حوادث الطبيعة تعليلاً مؤسساً على تلك النواميس الثابتة، ولا تستعمل إلا مفردة، ومع هذا فقد تطلق على مجموع معارف في فرع خاص من المعارف الإنسانية وفي هذه الحالة يلحق بها التخصيص فيقال علم الكيمياء وعلم الفلك مثلاً، وقد يعتريها الجمع فيقال العلوم الكونية والعلوم الرياضية.

وقد كابد العلم تخصيصاً معنوياً في هذه القرون المتأخرة فصار لا يطلق إلا على المعارف التي تقع تحت أحكام المشاعر وتخضع لامتحانها فإذا قال قائل: العلم قرر ذلك، خرج منه علم الدِّين لأن مدار الدِّين على المسائل الاعتقادية ومعتمدة التسليم بمقررات لا تخضع للامتحان والتجربة، ومن هذا نشأت مسألة المناقضة بين العلم والدِّين، فالعلم لا يعترف بمسألة إلا إذا قبلها العقل وأيدها الحس، وقبلت الخضوع لأسلوبه من الاختبار والتمحيص ولكن الدِّين يفرض التسليم بأمور غيبية، يسندها إلى الوحي، ويعزوها إلى الله تعالى أو يعلن سموها من كل جدال (محمد فريد، د.ت: ٥٨٤/٦).

Prince of Songkla University Pattani Campus

JOHN F. KENNEDY LIBRARY
PRINCE OF SONGKLA UNIVERSITY
PATTANI THAILAND

٣،١،٢- أهمية العلوم الإسلامية

الإسلام في اللغة هو إظهار الخضوع والقبول لما أتى به محمد ﷺ، والدِّين الذي جاء به محمد ﷺ، والسلاَم: إسم من أسمائه تعالى والتسليم، والتحية عند المسلمين، والسلامة والبراءة من العيوب، والأمان، والصلح والنشيد الوطني الرسمي، (إبراهيم مصطفى وآخرون، ١٣٨٠هـ-١٩٦٠م، ص٤٤٦).

والإسلام يعني بمفهومه العام والشامل، كامل الاستسلام والانقياد والإذعان لله ﷻ في أمره ونهيه، فمن أسلم وجهه وقلبه وقالبه لله في كل أموره وشؤون حياته فهو المسلم، والإسلام دين الأنبياء والمرسلين جميعاً من لدن آدم عليه السلام إلى خاتم النبيين محمد ﷺ، ولما كان الأنبياء والمرسلون -وهم الصفوة المختارة من البشر- أكثر الناس حباً لله واستسلاماً له وقياماً بأمره، كانوا بذلك أول المسلمين والمؤمنين ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [سُورَةُ الأَنْعَامِ: الآيَةُ ١٦٢- ١٦٣]. ولا يكمل دين المرء وإسلامه إلاَّ إذا سلم لله في جميع أموره ورضي بحكم الله ﷻ سواء وافق مصلحته وهواه أو اصطدم معهما، ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [سُورَةُ النِّسَاءِ: الآيَةُ ٦٥]، فلابد لكمال الإسلام من الحكم بما أنزل الله والرضا فيه وعدم الضيق والتبرم والسخط منه، ولا يكفي ذلك وحده، بل لابد من كامل الانقياد والاستسلام. والإسلام الذي بعث به الرسل السابقون قد حرف وبدل فطمست معالمه واندرست آثار الحق فيه، وجاء التشريع الإسلامي الذي نزل على محمد ﷺ لينسخ جميع الرسالات السماوية السابقة، وبمحمد عليه الصلاة والسلام ختمت الرسالات واكتمل بناء النبوات فلم يبق إلا دينه وشرعه، فمن آمن به واتبعه فاز ونجا، ومن حاد عن شرعه ضل وهلك ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ

ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [سُورَةُ آلِ عِمْرَان: الآيَةُ ٨٥]، و ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [سُورَةُ آلِ عِمْرَان: الآيَةُ ١٩]. يقول ﷺ: "والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار" (مُسْلِم، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م: ١/١٣٤)، وقد شمل التشريع الإسلامي مختلف جوانب الحياة وشؤون المجتمع فمن قضايا العقيدة والعبادة إلى قضايا الحكم وكمال الأخلاق والمعاملات، كل ذلك بما يصلح أحوال الناس ويضمن لهم الأخلاق والمعاملات، كل ذلك بما يصلح أحوال الناس ويضمن لهم المجتمع الآمن المستقر والحياة السعيدة التي توصل إلى مرضاة الله وجنته، (موسى الأسود، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، ص١٥- ١٦).

يقول الدكتور إبراهيم الشافعي: " أن أحد أهداف التربية الإسلامية هو إشباع الحاجة إلى المعرفة الدينية لدى المتعلم؛ فالتلميذ لاشك لديه كثير من الأسئلة المتعلقة بأمور دينية، وهو يشعر بالحاجة إلى الإجابة عليها، ومن الواجب أن تزوده التربية الدينية التي تقدمها المدرسة بإجابات عن أسئلته، ونحن نتمنى مخلصين أن نعرف هذه الأسئلة التي تدور في ذهنه؛ حتى تكون مناهجنا الدينية إجابات لها، فتشبع في نفسه الحاجة إلى معرفتها، ولكننا في كثير من الأحيان لا نعرف هذه الأسئلة التي يود التلاميذ في مختلف الأعمار الإجابة عنها، فنضع لهم المناهج بناء على تقديرنا نحن الكبار، معتقدين أنها تتضمن الإجابات التي يريدون، وقد تكون هذه المناهج كذلك، وقد لا تكون، ولهذا فإننا ندعو إلى بذل كل جهد ممكن لمعرفة ما هي الأسئلة الدينية التي يحاول التلاميذ أن يجدوا الإجابة عنها، ولمتابعة ما تتطور إليه هذه الأسئلة من سن إلى سن، ومن بيئة مسلمة إلى بيئة مسلمة أخرى، كما ندعو إلى إقامة الدراسات النفسية للتلاميذ والتي تسجل نموهم الديني في مراحله المختلفة؛ حتى تكون المناهج الدينية بالمدرسة مستجيبة لمتطلباته، وموجهة لمساره، لا معارضة له أو متناقضة معه"، (إبراهيم محمد الشافعي، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، ص٥٣-٥٤).

و الإسلام جملة من التعاليم تكون نظاماً مستوعباً لنشاط الانسان وسلوكه في حياته، ويعطي التوجيه في كل جانب من جوانبها، وهذا النظام وحدة متماسكة،

Prince of Songkla University Pattani Campus

يتصل بعض أجزائه ببعض في القيمة والاعتبار، وفي الفاعلية في حياة الانسان، وأن الإسلام وحدة واحدة لا تقبل التبعيض، كذلك اسمه واحد لا يقبل التغيير وهو: الإسلام؛ لأن الإسلام اسم لدين الله ﷻ، منذ أن أوحى الله برسالته، ومنذ أن اختار رَسُولا من البشر: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [سُورَةُ آلِ عِمْرَان: الآيَةُ ١٩]، فهو اسم لما أوحي به إلى محمد ﷺ، كما هو اسم لما أوحي به إلى إبراهيم، وموسى، وعيسى، من قبل، وسيظل لدين الله اسم الإسلام؛ طالما بقي الدين وبقي كتابه، وهو الإسلام في اسمه، وهو فطرة الله التي فطر الناس عليها في موضوعه، وفي هدايته للطبيعة البشرية، التي جاء هو وفقاً لخصائصها، ولا تبديل لكلمات الله، والفصل قائم -وسيظل قائماً- بين خلق الله، وصنعة الانسان، والله ولي أمره وخلقه، والانسان رب صنعته وعمله، (محمد البهي، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م، ص٣٢٥-٣٢٦، بتلخيص).

وقد كان رسول الله ﷺ في مناسبات كثيرة يشرح لأصحابه حدود الإسلام وأبرز معالمه وأحكامه تنويهاً بشأنها وعظم أمرها، جاءه رجل فقال: إني سألتك بوجه الله تعالى بم بعثك إلينا؟ قال: «بالإسلام»، قال: وما آيات الإسلام؟ قال: «أن تقول أسلمت وجهي لله وتخليت، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، كل المسلم على المسلم محرم إخوان نصيران»، (ابن حنبل، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م: ٥/٥)، لا يقبل من مشرك بعدما أسلم عمل، أو يفارق المشركين إلى المسلمين.

فلكل ركن ولكل واجب في الإسلام أهميته ومنزلته، والإسلام هو مجموع ما جاء به محمد عليه الصلاة والسلام من الأحكام والتشريعات، فمن ترك شيئاً من ذلك، فإنما ذلك نقص في إسلامه يجب أن يتداركه، قال ﷺ: «الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤدي الزكاة، وتحج البيت وتصوم رمضان، قال إذا فعلت ذلك فقد أسلمت»[3] (النَّسَائِي، ١٣٨٣هـ-١٩٦٤م: ٨/٩١)، (موسى الأسود، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، ص١٥- ١٦).

---

[3] وانظر: (البخاري، ١٤١٤هـ-١٩٩٣: ١/٢٧).

وأن طلب العلم فريضة، ومع أن مع العلم ما قد يمنحه الله تعالى من يشاء بغير حساب، فإن البحث والتفكير العلمي يظل فريضة على كل مسلم، وهو فرض عين لعموم قول الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ﴾ [سُورَةُ النِّسَاءِ: الآيَةُ ٨٢]، وكيف نغفل عن حقيقة فرضية البحث والتفكير العلمي على كل مسلم، وقد طرح القرآن مسائل في غاية الحساسية والدقة، لا نجد لها مثيلاً في نسخ التوراة والإنجيل التي هي بين أيدي الناس حالياً، فقد ناقش القرآن الكريم وحدانية الله تعالى وهيمنته على الكون وتدبير أموره، وقدر له على الخلق والبعث والحساب والرزق وسائر الأمور، وناقش صحة الرسالات السماوية وتكاملها، وصحة رسالة محمد ﷺ، خاتم الأنبياء والمرسلين.. وما من أمر غيبي، أو سنة من سنن الكون إلاَّ وَ ناقشها القرآن الكريم من خلال تقريب فهمها بضرب المثل بأمور مادية وعلمية، تقرب إلى العقل إمكانية إدراكها: ﴿۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۗ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [سُورَةُ النُّورِ: الآيَةُ ٣٥]، (فوزي محمد طايل، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، ص٣٩).

والعِلْم الإسلامي بُني على أسس وقواعد معينة ليست من بنات الأفكار ولا من أخيلة العقول، وليست وليدة تجارب أو أهواء أو ميول طائفة من الناس، وإنما كان ناموساً وقانوناً يوازي في ثباته ورسوخه وحقيقته، حقيقة الإنسان نفسه حقيقة الإنسان جسداً وروحاً، غريزة وعقلاً، ولهذا كانت التربية الإسلامية محققة للسعادة ومؤدية للغاية المقصودة في حياة الإنسان الدنيا وفي حياته الأخرى، لا تورثه الحقد ولا تخلف له الجراح، والانحراف والقلق والظلم، ولا تسلك به طرقاً ودروباً تقهره وتدمر حياته وحياة الآخرين، وعمل العقول في هذه التربية، أن تبني على تلك الأسس وترفع تلك القواعد وتبلغها وتربي عليها وترعاها، وتستثمرها وتبتكر لها لأساليب والوسائل وتتفهم أسرارها ومعانيها وغاياتها، لتستفيد وتسعد، وتعز وتهنأ. كما أنه من طبيعة العِلْم الإسلامي المتميزة

Prince of Songkla University Pattani Campus

أنه يرتبط بعقيدة وحقيقة ومصدر، فهو يصول ويجول في كون الله المخلوق وآلائه المحدودة وآياته المبثوثة، وصدق الله العظيم ﴿ قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْآخِرَةَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [سُورَةُ العَنْكبُوت: الآيَةُ ٢٠]، فكل شيء عنده بمقدار وكل عنصر في هذه الحياة لم يوجد عبثاً أو نشاذاً وإنما وجد مرتبطاً بغيره منسجماً مع سواه مقدراً مدبراً موزوناً، له قانونه وله غايته وهدفه، وصدق الله ﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ [سُورَةُ الأَنعَامِ: الآيَةُ ٩٦]، ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴾ [سُورَةُ الحِجْرِ: الآيَةُ ١٩]، (توفيق الواعي، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م، ص٢١٦-٢١٧).

والعِلْم الإسلامي يدل المسلم على حقيقة خالدة ذات إنقلاب عظيم وخطير، وهي أن العِلْم لا حد له ولا نهاية، وصدق الله ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [سُورَةُ الإِسْرَاءِ: الآيَةُ ٨٥]، وقوله ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾ [سُورَةُ الكَهْفِ: الآيَةُ ١٠٩]، وقوله ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [سُورَة لُقْمَانَ: الآيَةُ ٢٧]، ومع هذا قد تكفل الله سبحانه للإنسان إذا أمعن النظر وأحسن التفكير وتتبع الأسباب المبثوثة في الكون، أن يدله على بعض أسرار خلقه ويعلمه ما يجهل منها وصدق الله ﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [سُورَةُ العَلَقِ: الآيَةُ ٥]، وقوله ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْآفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [سُورَةُ فُصِّلَتْ: الآيَةُ ٥٣]، وقوله سبحانه ﴿ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ﴾ [سُورَةُ الزُّخْرُفِ: الآيَةُ ٤٨]، (توفيق الواعي، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م، ص٢١٧).

Prince of Songkla University Pattani Campus

وأساس التعليم الإسلامي مبني على صلته بالدِّين، الذي هو عصمة أمر المسلم في حياته، حيث يوضح الأستاذ موسى الأسود بأن من شروط قبول عقيدة المسلم هو أن تكون مبنية على العلم والعبادة، قائلاً: "بل إن عقيدة المسلم لا تكون مقبولة إلا إذا كانت مبنـــية على العلم ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [سُورَةُ مُحَمَّدٍ: الآيَةُ ١٩]، والعبادة إذا لم يكن العلم- أساسها فلا قيمة لها، وفي الحديث "فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد" (ابن ماجة، ١٣٩٥هـــ-١٩٧٥م: ٨١/١)، ورواه الطبري مرفوعاً "قليل العلم خير من كثير العبادة"[٤] وقال صلوات الله عليه لأبي ذر "يا أبا ذر لأن تغدو فتعلم آية من كتاب الله خير لك من أن تصلي مائة ركعة، ولأن تغدو فتعلم باباً من العلم عمل به أو لم يعمل به خير لك من أن تصلي ألف ركعة" (ابن ماجة، ١٣٩٥هـــ-١٩٧٥م: ٧٩/١)، فالرحلة في طلب العلم والضرب في الأرض بحثاً عن أسراره عبادة من العبادات، ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [سُورَةُ التَّوْبَةِ: الآيَةُ ١٢٢].

وللمسلم أسوة حسنة بأنبياء الله ورسله الذين رحلوا في طلب العلم وتجشموا المشاق في هذا السبيل، فهذا نبي الله موسى عليه السلام عندما سمع بأن هناك من هو أعلم منه توجه إليه ليتعلم منه مما قصه القرآن الكريم علينا في سُورَةِ الكَهْفِ ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ۞ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ [سُورَةُ الكَهْفِ: الآيَةُ ٦٥- ٦٦]، وقد أمر الله نبيه بأن يطلب المزيد من العلم ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ [سُورَةُ طَه: الآيَةُ ١١٤]، وتحمل مشقة التعلم والصبر على تحصيل العلم خير من تجرع كأس الجهل.

ومن لم يذق مرّ التّعلّم ساعة
تجرّع كأس الجهل طول حياته

---

[٤] ورواه البيهقي بإسناد حسن صحيح.

Prince of Songkla University Pattani Campus

(موسى الأسود، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، ص١٠٥).

وميادين العلم واسعة وآفاقه رحبة، وكل ضروب العلم وأنواعه التي تخدم الإنسانية وتساعد على رقيّها هي علوم يحض الإسلام عليها ويدعو لها، وهو لا يرضى لأتباعه أن يلازموا الكسل ويركنوا للجهل، والأمم الأخرى تجوب الآفاق وتمسك زمام العلم والمعرفة وتبحث في أسرار الكون والحياة، وقد رفع الله مكانة أهل العلم وشرفهم لما يحملونه من خير ونور يشقون به حجب الجهل ويطمسون البدع والضلالات ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [سُورَةُ المُجَادلَةِ: الآيَةُ ١١] وقال ﷺ "العالِم والمتعلِّم شريكان في الخير، ولا خير في سائر الناس"[5] (ابن ماجة، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م: ١/ ٨٣).

وفي الشعر:

العلم يرفع بيوتاً لا عماد له

والجهل يهدم بيوت العز والكرم

(موسى الأسود، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، ص١٠٥- ١٠٦).

إلى جانب ذلك فإن هناك تحذير من كتمان العلم، لأنه حق للطالبين، ما لم تكن هناك ضرر لهم أو للغير، فقد حذر رسول الله ﷺ أهل العلم أن يكتموه، أو أن لا يبذلوه للراغبين فيه، وحذر الآخرين من الرضا بالجهل والتقاعس عن طلب العلم والتفقه في أمور الدِّين (موسى الأسود، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، ص١٠٥- ١٠٦).

ولكن هناك ملاحظة مهمة جداً ألا وهي التفريق بين العلماء وبين من قد يتشبه بهم، فلابد من التفريق بين العلماء والقُرّاء.

إن هناك بوناً شاسعاً بين القارئ للعلوم الشرعية والفقيه فيها، إن القارئ لديه نتف وجزئيات أمسك بها من خلال قراءته لبعض الكتب، وإطلاعه على أقوال أهل العلم فهو لم يعان العلم، ولم يشافه العلماء، ولم يزاحمهم بالركب في الحلق، ولذلك فإنه

---

[5] انظر (السندي، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م: ١/ ١٥٠).

Prince of Songkla University Pattani Campus

وإن رأيته متضلعاً في موضوع من موضوعات الفقه والشريعة إلا أنه يغلق عليه عندما يسأله في مسألة من مسائل العلم. (قواعد في التعامل مع العلماء، ص٢٨. علي الصلابي، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م، ص٢٣٣).

٢،١،٤- منزلة العلم والعلماء في الإسلام

منزلة العلم ومكانة العلماء في الإسلام عالية مرموقة، وفضلهما مشهور ومعروف، ومن شرف العلماء وسمو درجاتهم أن الله ﷻ قرنهم بنفسه وملائكته في الشهادة بوحدانيته والإقرار بعدالته وربوبيته ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [سُورَةُ آلِ عِمْرَان: الآيَةُ ١٨].

ويشيد المولى ﷻ بفضل العلماء فيقول ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ ﴾ [سُورَةُ الزُّمَرِ: الآيَةُ ٩]. وقد بين الرسول الكريم ﷺ إن الفضل والخير في التفقّه في الدِّين وتعلم أحكامه حينما قال: "من يرد الله به خيراً يفقّهه في الدِّين"، (البُخَارِي، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م: ٢٦٦٧/٦)،[٦] وكانت دعوة النبي ﷺ لابن عمه عبدالله بن العباس " اللّهّم علمه الكتاب "، (البُخَارِي، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م: ٤١/١)، وفي رواية " اللّهّم علّمه الحكمة وتأويل الكتاب " (السندي، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م: ١٠٨/١)، فكان ابن عباس ببركة هذه الدعوة جبلاً في العلم وبحراً في المعرفة حتى لقب بـ حبر هذه الأمة. أي عالمها، وبـ ترجمان القرآن، (موسى الأسود، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، ص١٠٧).

وينوه الرسول ﷺ بفضل العالم فيقول: "من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع،

---

[٦] رواه أيضاً (البخاري، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م: ٣٩/١).

Prince of Songkla University Pattani Campus

وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر»[7] (البُخَارِي، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م: ٣٧/١)، لذلك كانت درجة أهل العلم وأهل الجهاد أقرب الدرجات إلى درجة النبوة، أما أهل العلم فدلوا الناس على ماجاءت به الرسل، وأما أهل الجهاد فجاهدوا بأسيافهم على ما جاءت به الرسل، وقد أعز الله العلماء وآثرهم بكرامته وفضله يقول ﷺ «يقول الله تعالى للعلماء يوم القيامة إذا قعد على كرسيه للفصل بين العباد: إني لم أجعل علمي وحلمي فيكم إلا وأنا أريد أن أغفر لكم على ما كان منكم ولا أبالي». ويقول أيضاً: «وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء» (التِّرْمِذي، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م: ٤٩/٥)، وأي منصب يزيد على منصب من تشتغل ملائكة السموات والأرض بالاستغفار له؟!

ومن وصايا لقمان الحكيم لابنه -وكل وصاياه نافعة عظيمة: يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فإن الله يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الأرض بوابل السماء. والتفقه في الدِّين شرط للحصول على الخيرية والفضل «الناس معادن، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا» (البُخَارِي، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م: ١٢٨٨/٣)، والإنسان يتميز عن البهائم بالعلم "والإنسان إنسان بما هو شريف لأجله، ليس ذلك لقوته فإن الجمل أقوى منه، ولا لعظمه فإن الفيل أعظم منه، ولا لشجاعته فإن السّبع أشْجَع منه، ولا لأكله فإن الجمل أوسع بطناً منه، ولا لجِمَاعِه فإن أخس العصافير أقوى على السفاد منه، بل لم يتميز إلا بالعلم"، (موسى الأسود، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، ص١٠٨).

ومن هنا يتوجب علينا أن نحدد من هم العلماء، فيقول الدكتور علي الصلابي بأن العلماء المقصودون هم: العارفون بشرع الله، المتفقهون في دينه، العاملون بعلمهم على هدى وبصيرة، الذين وهبهم الله الحكمة ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [سُورَةُ البَقَرَة: الآيَةُ ٢٦٩].

---

[7] و رواه (أبو داود، ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م: ٥٧/٤-٥٨).

Prince of Songkla University Pattani Campus

والعلماء هم: الذين جعل الله ﷻ عماد الناس عليهم في الفقه، والعِلْم وأمور الدِّين والدُّنيا، (الطبري، تفسير الطبري، ٣٢٧/٣. علي الصلابي، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م، ص٢٣٠).

والعلماء هم: "فقهاء الإسلام، ومن دارت الفتيا على أقوالهم بين الأنام الذين خصوا باستنباط الأحكام، وعُنوا بضبط قواعد الحلال والحرام" (ابن القيِّم، إعلام الموقعين، ٧/١. علي الصلابي، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م، ص٢٣١).

والعلماء هم: أئمة الدين، نالوا هذه المنزلة العظيمة بالاجتهاد والصبر واليقين ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [سُورَةُ السَّجْدَة: الآيَةُ ٢٤].

والعلماء هم: ورثة الأنبياء، ورثوا عنهم العِلْم، فهم يحملونه في صدورهم، وينطبع -في الجملة- على أعمالهم ويدعون الناس إليه.

والعلماء هم: الفرقة التي نفرت من هذه الأمة لتتفقه في دين الله، ثم تقوم بواجب الدعوة، ومهمة الإنذار ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [سُورَةُ التَّوْبَة: الآيَةُ ١٢٢].

والعلماء هم هداة الناس الذين لا يخلو زمان منهم حتى يأتي أمر الله، فهم رأس الطائفة المنصورة إلى قيام الساعة يقول الرَسُول ﷺ: "لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم، أو خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس" (البُخَارِي، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م: ٢٦٦٧/٦).

ويُعرف العلماء بعلمهم، فالعِلْم هو الميزة التي تميزهم عن غيرهم، فهم إن جهل الناس نطقوا بالعِلْم الموروث عن إمام المرسلين ﷺ، ويعرفون برسوخ أقدامهم في مواطن الشبهة، حيث تزيغ الأفهام فلا يسلم إلا من آتاه الله العِلْم، أو من اتبع أهل العِلْم. فالعلماء أطواد ثابتة؛ لأنهم أهل اليقين الراسخ الذي اكتسبوه بالعِلْم، يقول الإمام ابن قيم

الجوزية رحمه الله: "إن الراسخ في العِلْم لو وردت عليه من الشبهة بعدد أمواج البحر ما أزالت يقينه، ولا قدحت فيه شكاً؛ لأنه قد رسخ في العِلْم فلا تستفزه الشبهات، بل إذا وردت عليه ردها حرسُ العِلْم وجيشه مغلولة مغلوبة" (ابن القَيِّم الجوزية، مفتاح دار السعادة، ١/١٤٠. علي الصلابي، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م، ص٢٣١).

إن العلماء يعرفون -أيضاً- بجهادهم، ودعوتهم إلى الله ﷻ وبذلهم الأوقات، والجهود في سبيل الله، ويعرفون بنسكهم وخشيتهم لله؛ لأنهم أعرف الناس بالله، يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [سُورَةُ فَاطِرٍ: الآيَةُ ٢٨]، وقال الإمام ابن تيمية رحمه الله: "ومن له في الأمة لسان صدق عام بحيث يُثنى عليه ويُحمد في جماهير أجناس الأمة، فهؤلاء أئمة الهدى ومصابيح الدجى" (ابن تيمية، الفتاوى، ١١/٤٣. علي الصلابي، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م، ص٢٣٢). وهذا حق، فالمسلمون شهداء الله في أرضه، (عبدالرحمن اللويحق، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م، ص٢٦)

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: مروا بجنازة فأثنوا عليها خيراً فقال النبي ﷺ: "وجبت"، ثم مروا بأخرى فأثنوا عليها شراً، فقال: "وجبت" فقال عمر بن الخطاب ﷺ: ما وجبت؟ قال: "هذا أثنيتم عليه خيراً، فوجبت له الجنة، وهذا أثنيتم عليه شراً، فوجبت له النار؛ أنتم شهداء الله في الأرض"، (البُخَارِي، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م: ١/٤٦٠).

ومما يعرف به العالم شهادة مشايخه له بالعِلْم، فقد دأب علماء المسلمين من سلف هذه الأمة ومن تبعهم بإحسان على توريث علومهم الذين يتبوؤون من بعدهم منازلهم وتصبح لهم الريادة، والإمامة في الأمة، ولا يتصدر هؤلاء التلاميذ حتى يروا إقرار مشايخهم لهم بالعِلْم، وإذنهم لهم بالتصدر والإفتاء والتدريس. قال الإمام مالك رحمه الله: "لا ينبغي لرجل يرى نفسه أهلاً لشيء حتى يسأل من كان أعلم منه، وما أفتيت حتى سألت ربيعة ويحيى بن سعيد فأمراني بذلك، ولو نهياني لانتهيت" (ابن حمدان، صفة الفتوى والمستفتى، ص٧. علي الصلابي، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م، ص٢٣٢). وقال: "...ليس كل من أحب أن يجلس في المسجد للتحديث والفتيا جلس، حتى يشاور في أهل الصلاح والفضل، وأهل الجهة من المسجد، فإن رأوه أهلاً لذلك جلس وما جلست حتى

Prince of Songkla University Pattani Campus

شهد لي سبعون شيخاً من أهل العِلْم أني موضع ذلك" (ابن فرحون، الديباج، ص٢١. علي الصلابي، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م، ص٢٣٢).

والعلماء هم المصابيح التي يستضاء بها وهم سرج الأزمنة التي يسير الناس على ضوئها ونورها، فهم الذين يشرحون للناس كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وهم الذين يقمعون البدع والخرافات ويبينون للناس خطرها وفسادها ويرتقون بالناس إلى مستويات عالية من السعادة والاستقرار في ظل الالتزام بشرع الله والاهتداء بهديه، والعلماء هم الذين يفتون الناس في أمور دينهم ويسلّطون الضوء على كثير من القضايا والمسائل لمعرفة حكم الله فيها بما يبذلونه من جهد علمي خالص مستنير بقواعد جعلها أهل العلم شروطاً أساسية لاستنباط واستخراج الأحكام، فكل مجتمع لا يخلو من مشاكل مختلفة مادية واقتصادية واجتماعية، ومهمة أهل العلم بيان الحلول لها وتنوير الناس بمعرفة حكم الله فيها، ولذلك كانت المهمة المنوطة بأهل العلم كبيرة ومهمة، ومن هنا لما كان الناس يتسابقون للخروج في الجهاد والمعارك ندب الله بعضهم ليتفقهوا في الدِّين وليكونوا المنذرين للآخرين والقائمين بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [سُورَةُ التَّوْبَة: الآيَةُ ١٢٢]، ومن هنا كانت درجات العلماء عند الله عظيمة وتنتشر المعرفة وتسود الأخلاق وتصحح المعاملات فتكون على قواعد شرعية يرضاها الله ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾ [سُورَةُ المُجَادلَة: الآيَـةُ ١١].

ومن فضل العلم ما ورد عن علي كرم الله وجهه: "العلم خير من المال، العلم يحرسك، وأنت تحرس المال، والعلم حاكم والمال محكوم عليه، والعلم يزكو بالإنفاق والمال تنقصه النفقة. وقال أيضاً: "كفى بالعلم شرفاً أن يدعيه من لا يحسنه ويفرح به إذا نسب إليه، وكفى بالجهل ذمّاً أن يتبرأ منه من هو فيه!، وقال بعضهم: من اتخذ الحكمة

لجاماً اتخذه الناس إماماً، ومن عرف بالحكمة لاحظته العيون بالوقار، وقال بعض الحكماء: "إذا مات العالم بكاه الحوت في الماء والطير في الهواء ويفقد وجهه ولا ينسى ذكره".

وكان رسول الله ﷺ يفضل مجالس العلم ويميزها عن غيرها حتى ولو كانت مجالس طاعة وعبادة، وما هذا إلاَّ لِإظْهَار شرف العلم ومكانته. يروى أنه ﷺ دخل المسجد فرأى مجلسين، أحد المجلسين يذكرون الله تعالى ويرغبون إليه، والآخر يتعلمون الفقه، فقال عليه الصلاة والسلام: "كلا المجلسين على خير وأحدهما أفضل من الآخر، أما هؤلاء فيدعون الله تعالى ويرغبون إليه، فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم، وأما هؤلاء فيعلمون الجهال، وإنما بُعِثْتُ مُعلماً فهؤلاء أفضل" ثم جلس معهم، (ابن ماجة، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م: ٨٣/١).

والعالم لا يشبع من طلب العلم وتعلمه إلى آخر لحظة في حياته وهو يرى أن أسعد لحظاته حينما يتدارس العلم أو يجالس ويخلو بكتابه، قال ابن مسعود ﷺ: "منهومان لا يشبعان طالب العلم وطالب الدنيا، وهما لا يستويان، أما طالب العلم فيزداد في رضا الرحمن وأما طالب الدنيا فيزداد في الطغيان ثم قرأ ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [سُورَةُ فَاطِرٍ: الآيَةُ ٢٨] وقرأ ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [سُورَةُ العَلَقِ: الآيَةُ ٦ -٧] وحكي عن ابن المبارك رحمه الله أنه كان في حال الموت ورجل عنده يكتب له العلم فقيل له: في مثل هذه الحالة تتعلم؟! فقال: "لعل الكلمة التي تنفعني لم تبلغني بعد! وقيل له: "لو أن الله تعالى أوحى إليك إنك ميت العشية ما أنت صانع اليوم؟" قال: "أطلب فيه العلم!".

وقيل لأبي عمرو بن العلاء: حتى متى يحسن بالمرء أن يتعلم؟ قال: "ما دامت الحياة فيه يحسن أن يتعلم". وقال أحد الحكماء: "إنه ليس لصحيح البدن والعقل عذر في ترك التعلم مهما كان عمره!

وميدان العلم ميدان رحب واسع وهو مجال للتسابق والتنافس "لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو

يقضي بها ويعلمها "،[8] (البُخَارِي، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م: ٦/٢٦١٢-٢٦٦٨)، يقول الإمام الشافعي رحمه الله: "من تعلم القرآن عظمت قيمته، ومن نظر في الفقه نبل قدره، ومن نظر في اللغة رق طبعه، ومن نظر في الحساب جزل رأيه، ومن نظر في كتب الحديث قويت حجته، ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه" (موسى الأسود، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، ص١٠٧- ١١٠).

لذا فالعلم في غاية الأهمية لدى المتفهمين بشتى أقسامه، وإذا ألقينا نظرة إلى الوراء نجد أن سلفنا الصالح يتجشمون الصعاب ويقتحمون المخاطر في سبيل الرحلة في طلب العلم، فكان أحدهم يسير الليالي من أجل أن يسمع حديثاً لأنهم يعلمون مكانة العالم عند الله، وما للرحلة في طلب العلم من ثواب. فقد ورد أن جابر بن عبدالله ﷺ ابتاع بعيراً فشدّ عليه رحله وسار شهراً حتى قدم الشام ليسأل عبدالله بن أنيس عن حديث في القصاص، وربنا ﷻ يقول في كتابه ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سُورَةُ الزُّمَرِ: الآيَةُ ٩] وقد اتفقت كلمة العلماء على أن كل علم يحتاج إليه المسلمون فتعلّمه فرض، ولا يصح شرعاً أن نظل أمّيّين وجاهلين به، حتى قالوا: لو احتاج المسلمون إلى صناعة إبرة ولم يوجد بين المسلمين من يُحْسن صناعتها فكل المسلمين آثمون. وهذا يعني أنّ كل علم أو اختصاص مفيد للأمة والمجتمع يجب أن يكون بيننا أناس يحسنونه ويختصون به، ليظهر المجتمع الإسلامي متكاملاً في كل ناحية حتى لا يحتاج إلى غيره أو أن يظهر غيره من المجتمعات بمظهر المتفوق وصاحب الفضل عليه في هذا الأمر أو ذاك (موسى الأسود، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، ص١١٧- ١١٩).

٢،٢- التعليم والتشريع الإسلامي

وقد حث الإسلام على التعليم والتعلم وأمر به، حيث يقول رسول الهدى ﷺ: "طلب العلم فريضة على كل مسلم" (ابن ماجه، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م: ١/٨١).

---

[8] ورواه (ابن حنبل، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م: ٢/٥٠، ٢/٢٠٦).

Prince of Songkla University Pattani Campus

ويتأكد الوجوب في الأمور الشرعية التي لا يمكن للمسلم أن يستغني عنها وهو يؤدي فرائض الله وواجباته، ونسكه ولقد رفع الله جل شأنه من مكانة العلم وأهله في أكثر من موضع في كتابه العزيز حيث يقول: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [سُورَةُ آلِ عِمْرَان: الآيَةُ ١٨]. فاستشهاده ﷻ بأهل العلم دليل على فضلهم المبني على فضل ما يحملونه وهو العلم، لذا نجد أن القرآن فرَّق بين العالم والجاهل في آية أخرى فقال: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [سُورَةُ الزُّمَرِ: الآيَةُ ٩] ففي الآية الكريمة ينفي الله التسوية بين العالم وغيره كما ينفي في مواضع أخرى التسوية بين الخبيث والطيب، وبين الأعمى والبصير، وبين الأبكم العاجز الذي لا يقدر على شيء ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم، وبين المؤمنين والكفار، وبين الذين آمنوا وعملو الصالحات والمفسدين في الأرض، وبين المتَّقِيْن والفُجَّار، وهذا يدل على أن مترلة العالم من الجاهل كمترلة النور من الظلمة، والظل من الحرور، وهو كاف في شرف العلم وأهله، لأننا لو تأملنا هذه الأصناف كلها لوجدنا نفي التسوية بينها راجعاً إلى العلم، (ابن قيم الجوزية، د.ت، ١/١٧٢-١٧٣).

وفي مواضع أخرى يذم سبحانَهُ الجهلَ وأهله فيقول: ﴿ ۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾ [سُورَةُ الأَنْعَامِ: الآيَةُ ١١١]، ويقول ﷻ: ﴿ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [سُورَةُ الأَنفَالِ: الآيَةُ ٢٢]. وهذا كليم الله موسى عليه السلام يستعيذ بالله أن يكون ممن لا يفقهون ولا يعلمون، فيقول الله حكاية عنه: ﴿ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [سُورَةُ البَقَرَةِ: الآيَةُ ٦٧].

ولو لم يكن الجهل من الأمور المذمومة والصفات السيئة لما ذمة الله مذمومة والصفات السيئة لما ذمة الله ﷻ واستعاذ منه نبيه عليه السلام، ولما أمر الله رسول البشرية ﷺ

Prince of Songkla University Pattani Campus

بالإعراض عن الجاهلين، والجهل ضد العلم ومع الجهل يمكن أن يقوم الإنسان بأمور كثيرة وأعمال متعددة دون وعي وهدى وصواب، بل قد يؤدي الجهل إلى إحلال الأضرار بالنفس الإنسانية، كما أن الجاهل بأمور الشريعة والدِّين قد يعبد الله على جهله فيخطئ الطريق ويضل عن الحق ولا يقبل منه عمل، لأن كل عمل يقوم به الفرد المسلم لابد أن يكون خالصاً لوجه الله، ولابد أن يكون صواباً مطابقاً لما جاء به النبي ﷺ، وكيف الجاهل الذي لا يعرف شرع الله وحدوده أن يدرك أن ما يقوم به صواب أم غير صواب؟

وقد أوضح ابن تيمية رحمه الله في كتابه الحسنة والسيئة، أن الجهل هو أصل ما يوقع الناس في السيئات، ولهذا قال الصحابة رضوان الله عليهم: "كل من عصى الله فهو جاهل"، وقال أبو العالية: "سألت أصحاب محمد ﷺ عن هذه الآية: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ [سُورَةُ النِّسَاءِ: الآيَةُ ١٧]. فقالوا: "كل من عصى الله فهو جاهل، ومن تاب قبل الموت فقد تاب من قريب"، (عبدالله عبدالحميد محمود، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م، ص٧- ٨).

التعليم في المنطقة الفطانية

تناولت كثير من الدراسات الإسلامية متمثلة في بعض الوثائق والرسائل الجامعية كالماجستير أو الدكتوراه عن التعاليم الإسلامية المتميزة، والتي حظيت بها المنطقة الفطانية —حيث ولاية جالا من ضمنها- خصوصاً أيام مجدها، فمن إحدى تلك الرسائل رسالة ماجستير للأخ أزمان (عزمان) الذي أخذ على عاتقه شرح وبيان حياة أحد أئمة في فطاني، وهو الشيخ محمد بن إسماعيل الداودي،[9] الذي قام بدور نبيل في نشر الفقه

[9] أحد الأئمة الفطانيين المشهورين والمعتبرين لأهالي المنطقة، وُلد في قولو دويونج، محافظة ترانج كانو، بمملكة ماليزيا، سنة ١٨٤٤م، وتوفى بمكة المكرمة، المملكة العربية السعودية سنة ١٩١٥م، ومن أعماله: قيامه بدور بارز في نشر العلوم الدِّينية بالمنطقة، وخصوصاً الفقه على مذهب الإمام الشافعي رحمه الله، مع ترجمته الكثير من الكتب العربية إلى الملايوية، فمن ضمن مؤلفاته كتاب مطلع البدرين. أزمان، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م، ص٨.

Prince of Songkla University Pattani Campus

الإسلامي في المنطقة، وذلك بعد تعلمه الفقه الشافعي على أيد علماء مكة المكرمة، ثم قام بترجمة كتبهم وبعض المسائل الفقهية عند رجوعه إلى المنطقة.

فأوضح الأخ أزمان على أن المنطقة قد شهدت عدة مراحل تعليمية متفاوتة، وخصوصاً المرحلة أو الفترة الثالثة -حسب تعبيره- هي المرحلة الذهبية التي حظيت بها المجد؛ في جعلها مركزاً للدراسات الإسلامية، في جنوب شرق آسيا قاطبةً، مع تأكيده بأن هناك عدة فترات سبقتها، ومنها فترة الشيخ داود بن عبدالله الفطاني -رحمه الله- والذي يعتبر المؤسس للفقه الإسلامي في المنطقة بمنظوم خاص، وبِهِ بقيت آثاره حتى اليوم، (أزمان (عزمان)، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م، ص٨- ١٠، بتصرف).

وإن تعاليم الإسلام لن تغيب عن الناس، ولسوف تبقى ثابتة رغم نزولها باللغة العربية فقط، ولقد صار ذلك أمراً ثابتاً، فهذه التعاليم مسجلة في القرآن الكريم، الذي نقله جبريل عليه السلام عن رب العزة جلَّ وعلا، ثم نقله خاتم الأنبياء محمد رسول الله ﷺ، عن جبريل ونقله إلى صحابة الكرام عن الرسول ﷺ ثم تتابعت الأجيال تنقله عبر العصور حتى بلغنا مثلما نزل منذ أربعة عشر قرناً، وسنورثه نحن لغيرنا، وهكذا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، (عبدالعزيز تركستاني، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، ص٥٩٣).

وإذا أردنا تتبع تحصيل العلم وتعليمه أهو من حقوق الإنسان أم لاء؟ فإننا نجد الإجابة بأنه كذلك ولا نزاع فيه، حيث توضح الديمقراطية في المبادئ قائلة: "تحصيل العلم حق إنساني عالمي الشمولية، كما أنه وسيلة لإحراز حقوق الإنسان الأخرى وأداة تمنح القدرات الاجتماعية والاقتصادية، وقد وافقت دول العالم، من خلال المؤتمر العالمي لحقوق الإنسان، على أن لكل شخص الحق في تحصيل العلم، ينقل كل مجتمع طباعه الفكرية وأعرافه الاجتماعية والثقافية ومثله العليا من جيل إلى جيل، وهناك صلة مباشرة بين التعليم والقيم الديمقراطية: في المجتمعات الديمقراطية، تدعم فحوى وممارسة التعليم أعراف نظام الحكم الديمقراطي (وزارة الخارجية الأمريكية، د.ت، ص٢٧).

Prince of Songkla University Pattani Campus

٢،٣- موقف السلف الصالح من العِلْمِ وَ التَّعْلِيمِ

فقبل توغلنا إلى الموقف نود معرفة من هم السلف الصالح، ثم نتطرق إلى سيرهم فهم عصابة الإيمان، وجند الرحمن، وحزب الله، وعسكر القرآن، أصحاب رَسُول الله ومن تبعهم باحسان، أليَن الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً وأحسنها بياناً، وأصدقها إيماناً، أخلصها نصيحة وأقربها إلى الله وسيلة، علم الله ما في قلوبهم فهدي بهم وأثابهم فتحاً قريباً فقال ﷻ ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [سُورَةُ الفَتْح: الآيَةُ ١٨]، باعوا أرواحهم وأموالهم لله سبحانه، فاشتراها الله منهم بجنةٍ عرضها السموات والأرض وبشرهم وجعلهم من الفائزين: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ ﴾ [سُورَةُ التَّوْبَة: الآيَةُ١١١]، ثم قال: ﴿ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [سُورَةُ التَّوْبَة:١١١]، بلغوا من الرجولة والإقدام مبلغاً أشاد به القرآن، ومن الوفاء مكاناً سجله الذكر الحكيم، فقال تَعَالى: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾ [سُورَةُ الأَحْزَاب: الآيَةُ ٢٣]، ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۞ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴾ [سُورَةُ الشُّورَى: الآيَةُ ٣٨-٣٩]، (توفيق الواعي، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م، ص٩٣-٩٤).

بلغوا من الحب في الله مكاناً ومن الإيثار مترلةً، نفر منها حقد القلوب وإنزاح عنها شح النفوس، حتى قال القرآن مشيداً بهم ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ

أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۞ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [سُورَةُ الحَشْرِ: الآيَةُ ٩-١٠]، بنوا بالإيمان دولة، وشيدوا على الحب صرح، وأقاموا على الطهر خير أمة، وصدق الله: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ ﴾ [سُورَةُ آلِ عِمْرَان: الآيَةُ ١١٠]، أمة بعضها من بعض عقيدتهم هي ملاك أمرهم وشريعة ربهم هي غايتهم ودستورهم، ورَسُول الله هو زعيمهم وقائدهم وإمامهم، الصالحون فيها على امتداد الأزمان كالحلقة المفرغة لا يدري أين طرفها ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [سُورَةُ التَّوْبَةِ: الآيَةُ ١٠٠]، هم نماذج الدعوة وحملتها على مر العصور وهم الهداة المهتدون، وهم مشاعلها وشموسها وروادها، والقدوة الحسنة والمثل المحتذى لشباب الأمة ودعاتها وعلمائها، دعوا إلى الله على بصيرة و فهم و صبر و احتساب، (توفيق الواعي، ١٤١٦هـ -١٩٩٥م، ص٩٤-٩٥).

وأول ما يتجلى فيهم أنهم يحاربون البدع، فلاشك أن الابتداع في الدين من أعظم أسباب التفرق، بل هو أعظمها وكان من العوامل التي ساهمت في القضاء على وحدة الأمة الإسلامية، وشتت شملها، وحادت بسببه فرق كثيرة عما كان عليه رَسُول الله ﷺ وأصحابه ﷺ. إن المجتمع المسلم كان متوحداً متآلفاً، حتى خرجت البدع على الناس بسمومها وروائحها الكريهة، فقوضت بنيان الأمة، وشتت شملها، ونخرت في كيانها، كما نخر السوس في الحَب، وسرت في جسم الأمة كما يسرى السرطان في الدم، أو النار في الهشيم، فلذلك نرى من أسباب التمكين للأمة ووحدة الصف محاربة البدع وذمها وتنفير المسلمين منها، وبيان مضارها وأخطارها وسوء منقلب أهلها. ولقد سار علماء الأمة على

Prince of Songkla University Pattani Campus

مر العصور، وكر الدهور، وتوالى الأزمان على هذا النهج في محاربة البدعة، وإماتتها، وإظهار السنة وإحيائها، ومن الأمور التي تظهر خطورة البدعة فيها، ما يصيب الأمة بسببها من العداوة والبغضاء والشحناء، يقول ابن تيمية رحمه الله: "والبدعة مقرونة بالفُرقة، كما أن السنة مقرونة بالجماعة"، (ابن تيمية، الاستقامة، ٤٢/١. علي الصلابي، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م، ص٢٤٤-٢٤٥). ويقول الدكتور توفيق الواعي: "ومن سمات أهل البدع مفارقة الجماعة وشق عصا الطاعة على جماعة المسلمين؛ لأن الأهواء نزعات وسبل تفرق الجادة"، (توفيق الواعي، البدعة والمصالح المرسلة، ص٢١٤. علي الصلابي، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م، ص٢٤٥)، إن البدع أصابت الأمة في وحدة صفها واجتماع شملها وقوة بنيانها، ولقد أرشدنا القرآن الكريم وأرشدتنا السنة النبوية إلى التمسك بحبل الله المتين ونوره المبين وترك البدع والإحداث في الدين: قال تَعَالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ﴾ [سُورَةُ الأَنعَامِ: الآيَةُ ١٥٣]، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رَسُول الله ﷺ: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد"، (البُخَارِي، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م: ٩٥٩/٢)، إن محاربة البدع والتمسك بما كان عليه رَسُول الله ﷺ وأصحابه والاقتداء بهم طريق الوحدة واجتماع كلمة الأمة، وقوة بنيانها، ورصانة دعائمها، ومتانة قواعدها وإرجاع مجدها وعزتـــها ومن أهم الأسباب للتمكين لهذا الدين. (علي الصلابي، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م، ص٢٤٥).

وكذا إن الجهل من أعظم أسباب الوقوع في المحرمات جميعها من كفر وفسوق وعصيان، ومن أعظم الجهل القول على الله بغير علم، وقد جعله الله ﷻ أعلى مراتب المحرمات و أعلى درجة من الإشراك به سبحانه، قال تَعَالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سُورَةُ الأَعْرَافِ: الآيَةُ ٣٣]، يقول ابن القَيِّم رحمه الله: "و أصل الشرك والكفر، هو القول على الله بلا علم"، (ابن القَيِّم، مدارج السالكين، ٣٧٣/١)، وقد نهى الله عباده أن ينسبوا إلى دينه تحليل شيء أو تحريمه من عند

أنفسهم، ليس لديهم فيه حجة من الله ولا برهان فقال تَعَالى: ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ [سُورَةُ النَّحْلِ: الآيَةُ ١١٦]، فافتراء الكذب على الله ﷻ أمر خطير وعظيم، فهو تعد على جانب الألوهية، وتطاول على الله ﷻ، وفيه إضلال للعباد، وصدٌّ لهم عن دين الله الحق، قال تَعَالى: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ ﴾ [سُورَةُ الأَنعَامِ: الآيَةُ ١٤٤]، وقال تَعَالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾ [سُورَةُ يُونس: الآيَةُ ٥٩]، وقال تَعَالى: ﴿ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [سُورَةُ البَقَرَة: الآيَةُ ١١١]، وقال تَعَالى: ﴿ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [سُورَةُ الأَحْقَاف: الآيَةُ ٤]، وهذه تربية للمؤمنين، ودعوة للناس أجمعين، بأن يأخذوا الحق ويبحثوا عنه من مصدره الصحيح، وهو الوحي فقط لا غير، وأنَّ أي شيء لم يقم عليه دليل ولا برهان من وحي الله فإنه باطل مرفوض وإذا انتقلنا إلى السُّنَّة النَّبوية، وجدنا إخبار النبي ﷺ أن من أشراط الساعة قبض العِلْم وظهور الجهل، فعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رَسُول الله ﷺ: ((إن من أشراط الساعة أن يُرفع العِلْم ويثبت الجهل))، (البُخَـــارِي، ١٤١٤هـــ-١٩٩٣م: ١/٤٣)، وقال ﷺ: ((إن الله لا يقبض العِلْم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العِلْم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسُئلوا فأفتوا بغير علم، فضلّوا وأضلّوا))، (البُخَارِي، ١٤١٤هـــ-١٩٩٣م: ١/٥٠)، وقال النووي رحمه الله: "هذا الحديث بين أن المراد بقبض العِلْم في الأحاديث السابقة المطلقة ليس هو محوه من صدور حفاظه، ولكن معناه أن يموت حملته ويتخذ الناس جهالاً بجهالاتهم فيضلون ويضلون"، (النووي، د.ت: ١٦/٢٢٣-٢٢٤)، (علي الصلابي، ١٤٢١هـــ-٢٠٠١م، ص٢٤٦-٢٤٧).

Prince of Songkla University Pattani Campus

وأساس الإبتداع ناتج من خطأ في المنهج كتقديم العقل وتحكيمه على النصوص، فيقول الدكتور الصلابي مشيراً إلى إحدى الفئة التي تسعى في ذلك: إن المدرسة العقلية وعلى رأسها المعتزلة حكمت العقل، وجعلته مصدراً أولياً للتلقي ودخلت بالعقل في غير مجاله وركبوا مسلك أهل الكلام ودخلوا في جدل مع الفلاسفة في قضايا الإيمان، والأسماء والصفات، والغيبيات وابتعدت الأمة عن أوامر الله، ودخلوا في مجال الترف الفكري وتأثر كثير من العلماء بكتب اليونان وعلومهم الفلسفية، وأعرضوا عن منهج الاستدلال المستمد من الكتاب والسنة والذي سار عليه الاسلاف والأئمة الثقات ونشأت فرق كلامية متعددة كل فرقة تَزِد على الأخرى وحادت عن الصراط المستقيم، ووقعت هي الأخرى في أخطاء كثيرة وجسيمة نتيجة استعمالها المنهج العقلاني نفسه في الرد على الخصوم، وعدم اعتمادها على المنهج الرباني الذي يقول الله فيه: ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ [سُورَةُ الفُرْقَانِ: الآيَةُ ٣٣]، ولو تمسك الجميع بالكتاب والسنة وجعلوهما المصدر الوحيد للتلقي، وأعرضوا عمَّا خالفهما، واتبعوا منهج سلف الأمة في فهم أحكام الدين، أصوله وفروعه، لما حصل الذي حصل، ولكن ما وقعوا فيه كان نتيجة حتمية لتحكيم العقل في مجال غير المجال الذي خُلق له. يقول الشاطبي: "إن الله جعل للعقول في إدراكها حداً تنتهي إليه لا تتعداه، و لم يجعل لها سبيلاً إلى الإدراك في كل مطلوب" (الشاطبي، الاعتصام، ٣١٨/٢)، إن العاقل اللبيب هو الذي يعرف حقيقة ما أنعم الله عليه من نعمة العقل فلا يدخله في مسالك ودروب لم يخلق لها، وإنما يستعمل عقله في عمارة الأرض والكون والحياة، ويتأمل ويتدبر في كتاب الله وسنة رَسُوله ﷺ وينتهج منهج القرآن في معرفة حقيقة العقل ومكانته ودوره، فلا يتقدم على أحكام الشرع أبداً، بل ينقاد إليها انقياداً حكيماً رزيناً مسترشداً بنور الوحي الذي يحرر العقل من الخرافات والخزعبلات، ويحثه على النظر في الكون والتحرر من التقليد والهوى والتعصب. إن إقحام العقل في غير مجاله كما فعل أهل الكلام والأهواء شتت الأمة وفرقها وجعلها تبتعد عن كتاب ربها وسنة نبيها ﷺ. ولقد تخبط كثير من علماء الكلام في دياجير الظلام وحيرة العقول حتى منّ الله عليهم وألهمهم رشدهم في آخر حياتهم فتابوا إلى الله

Prince of Songkla University Pattani Campus

ﷻ وندموا على ما كان منهم وتحسروا على إضاعة أعمارهم في القيل والقال، واعترفوا بخطأ الطرق الذي ساروا فيه، وأن منهج القرآن والسنة الذي سلكه السلف الصالح هو أفضل السبل على الإطلاق ونذكر من هؤلاء الأعلام: ١-الجويني[١٠] رحمه الله: لقد ذم علم الكلام في آخر حياته ونصح الأمة أن يجتنبوه، حيث قال: "لا تشتغلوا بعلم الكلام، فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي ما بلغ ما اشتغلت به" (السبكي، طبقاتِ الشافعية، ٣/٢٦٠). ٢-أبو حامد الغزالي[١١]: نصر مذهب السلف في آخر حياته وقال: "الدليل على أن مذهب السّلف هو الحق، أن نقيضه بدعة، والبدعة مذمومة وضلالة" (إلجام العوام عن علم الكلام، ص٩٦). وذمه لعلم الكلام، حيث قال: "إن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا محتاجين إلى محاجة اليهود والنصارى في إثبات نبوة محمد ﷺ، فما زادوا على أدلة القرآن شيئاً، وما ركبوا ظهر اللّجاج في وضع المقاييس العقلية وترتيب المقدمات، كل ذلك لعلمهم بأن ذلك مثار الفتن ومنبع التشويش ومن لا يقنعه أدلة القرآن، لا يقمعه إلا السيف والسّنان، فما بعد بيان الله بيان" (إلجام العوام عن علم الكلام، ص٨٩-٩٠). إن المنهجية الخاطئة التي قدمت العقل على النقل أدت إلى فساد النتائج وبالتالي إلى ظهور الفرق واختلاف المناهج والتصورات والقيم والمعتقدات وكل ذلك أثر في وحدة الأمة وساهم في تمزيقها وتشتيتها وتفريقها وإضعافها وزوال هيبتها وملكها وسلطانها ولذلك أرى أن محاربة المدارس الكلامية والنزعات الفلسفية ودعوة الناس إلى الالتزام بكتاب الله وسنة سيد الأنام ﷺ من أسباب التمكين، (علي الصلابي، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م، ص٢٥٠-٢٥١).

وأماً العقيدة كما عرفها أهل العلم هي الأمور التي يجب أن يعتقد بها الإنسان ويصدق بها تصديقاً جازماً لا يقبل الشك من توحيد الله والإيمان بأمور الغيب وأركان الإيمان وسائر ماجاء به الرسول صلوات الله وسلامه عليه من أخبار، والمنهج كما

---

[١٠] هو إمام الحرمين عبدالملك بن عبدالله بن يوسف أبو المعالي ركن الدين كان من أذكياء العالم، توفي عام ٤٧٨هـ، انظر: العبر، ٢/٣٣٩).

[١١] هو محمد بن محمد الغزالي الطوسي له مائتا مصنف، توفى عام ٥٠٥هـ. شذرات الذهب، ٣/١٠).

عرفه بعض أهل العلم هو الطريقة التي يسير عليها الشخص في فهمه لأمور العقيدة، وقد يطلق المنهج ويراد به العقيدة ولكن اللفظين إذا اجتمعا افترقا، (حمد الكوسي، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، ص٣٨).

وقال بعض المشايخ: إن بين العقيدة والمنهج تلازماً؛ فلا يصح من الشخص أن يكون سلفياً ولكن منهجه منهج الجماعة الفلانية الحزبية بغضها وغضيضها؛ لأن المنهج تابع للعقيدة، فالمنهج السلفي والعقيدة السلفية بينهما تلازم، ومن أشد الغبن في هذه السنوات المتأخرة أن يعتقد البعض أن المنهج السلفي حكر على بعض الدعاة أو العلماء الذين لا يتجاوزون أصابع اليد أو اليدين! (حمد الكوسي، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، ص٣٨).

وكأنه بذلك أطفأ نار الدعوة السلفية، وجمد الكثير من العلماء والدعاة الذين ظهر معدنهم الأصيل، وبعضهم شهد لهم المبرزون من أهل العلم بالوثاقة والنهج السلفي الأصيل، ولا أدل على وجود طائفة منهم في كل زمان من قول النبي ﷺ "لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورين لا يضرهم من خالفم؛ حتى يأتي أمر الله ﷻ"،[12] (محمد الألباني، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م: ١/٢٠).

أولاً: الجماعات التي تنسب إلى منهج السلف أو تنسب نفسها إلى منهج أهل السنة والجماعة الذي هو: مذهب السلف، وهم منهم براء، ومن أبرز هؤلاء أهل البدع، من معتزلة وأشاعرة وأشباههم من الجماعات الحزبية التي تأثرت بفكرهم وكان لهم الأصابع الواضحة غير الخفية في تجنيدهم وهم درجات وبعض الجماعات الحزبية قد يكون قريباً من عقيدة السلف في باب الأسماء والصفات مثلاً، ولكن تجده في باب الولاء والبراء عنده خلل وأقرب منهج التجميع والتمييع.

ثانياً: بعض الجماعات التي تسربلت بسربال السلفية، وأعجبتهم الفكرة ولكنهم عجزوا عن التطبيق الصحيح، واهتموا ببعض الجوانب من عقيدة السلف وسمتهم الظاهرة باللباس وغيره ولكنهم ليسوا على نهج لسلفي ناضج صحيح، وهم على درجات،

[12] ورواه البخاري أيضاً في (البُخَارِي، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م: ٦/٢٦٦٧).

Prince of Songkla University Pattani Campus

ومن أبرز صفاتـــهم: نبذهم علماء أهل السنة بالإرجاء، أو أنهم علماء حيض ونفاس، أو أنهم لا علم لهم بالواقع أو أنهم علماء السلطان لأنهم لا يخرجون على الحاكم المسلم، وهم يريدون أن يبعدو الناس عن المنهج السلفي إلى اجتهاداتـــهم العجيبة والغريبة وحزبيتهم ونظرتـــهم إلى الواقع بالحساب المادي، ومن صفاتـــهم كذلك اهتمامهم الشديد بما يسمى بالحاكمية ويقدمونهُ على بقية أقسام التوحيد ويربعون به.

وقد بين علماؤنا أن (من يدعي قسماً رابعاً للتوحيد تحت مسمى توحيد الحاكمية يعد مبتدعاً فهذا تقسيم مبتدع صدر من جاهل لا يفقه من أمر العقيدة والدِّين شيئاً، وذلك لأن الحاكمية تدخل في توحيد الربوبية من جهة أن الله يحكم بما يشاء وتدخل في توحيد الألوهية أن العبد عليه أن يتعبد الله بما حكم)، (ابن عثيمين، ١٩٩٧م، العدد٦٣٩). ومن أسوأ صفاتـــهم: التكفير واستحلال التفجيرات والاغتيالات والخروج على الحكام المسلمين أو اتخاذ بيعات تفرق صفوف المسلمين، والأولى والثانية من صفاتـــهم السيئة هي لغلاتهم وهم قلة، وهناك كتب وأشرطة كثيرة نقدت منهجهم وهم درجات ولا يشترط اتصاف الشخص الواحد منهم بجميع الصفات السابقة.

ثالثاً: من وضح منهجه وعقيدته واتباعه لمنهج السلف الصالح وعلمائه الكبار، ودعا إلى الله على بصيرة ولم يأت ببدع مضللة يمثل ما سبق ذكره فهو على خير، وإن صدرت منه الزلات والهفوات والأخطاء التي لم تصدر عن هوى وغواية وانحراف عقدي وجعل دينه تحري الصواب والتبرؤ من الأخطاء وإبداء ذلك، فهذا يرجى له الخير ولايجوز التسرع برميه بالبدعة أو غير ذلك من ألقاب مع تحريه للسنة وصحة منهجه فلا يسلم المرء من كبوة أو زلة ولكن المؤمن الحق إذا نوصح انتصح ولا يستكبر عن الحق ومن أجلّ من بيّن بعض ماسبق العلامة عبدالمحسن العباد في رسالته المسمى بـــ(رفقاً أهل السنة بأهل السنة) ففيها ما يشفي صدور قوم مؤمنين، ويذهب حيرتـــهم ويثبت قلوبهم، في زمان أصبح الحليم حيران من كثرة الفتن وكثرة المدعين لاتباع منهج السلف الصالح (حمد الكوسي، ١٤٢٥هـــ-٢٠٠٤م، ص٣٨)، فمن كل هذا نود الإشارة إلى منهج السلف الصالح بريء من تلك الزلات.

Prince of Songkla University Pattani Campus

فعلى الباحثين في فَهْم معاني القرآن يجبُ أن يقصدوا ببحثهم التعاون على فهمه، واستخراج أحكامه، قاصدين بذلك وَجْهَ الله تَعَالى، ملازمين الأدب والوقار، فإن اتفقتْ أفهامُهم، فقد كملت نعمةُ الله تَعَالى عليهم، وإن اختلفت، وظهر لأحدهما خلافُ ما ظهر للآخر، وكان ذلك من مثارات الظُّنون، ومواضع الاجتهاد، فحقُّ كلِّ واحد أن يصيرَ إلى ما ظهر له، ولا يثرِّب على الآخر، ولا يلومه، ولا يجادله، وهذه حالةُ الأقوياء والمجتهدين، وأما مَن لم يكن كذلك فحقُّه الرجوعُ إلى قول الأعلم، فإنه عن الغلط أبْعَدُ وأسلم، وأما إن كان ذلك من المسائل العلمية فالصَّائر إلى خلافِ القطع فيها محروم، وخلافُه فيها محرَّم مَذمُوم، ثم حُكْمُه على التحقيق إما التكـــفير، وإما التَّفســـيق، (القرطبي، ١٤١٧هـــ-١٩٩٦م، ٦/٦٩٩-٧٠٠).

فالسلف الصالح لهم موقف تجاه العلم والتعلم، أي حرصهم الشديد في ذلك، مع إلتزامهم الآداب، فمن نماذج ذلك قال ابن عقيل في (الفنون): مما وجدته في آداب أحمد ﷺ أنه كان مستنداً، وذكر عنده ابن طَهمان، فأزال ظهره عن الاستناد، وقال: لا ينبغي أن يجري ذِكرُ الصالحين ونحن مستندون. قال ابن عقيل: فأخذت من هذا حُسْنَ الأدب فيما يفعلهُ الناس عند إمام العصر من النهوض لسماع توقيعاته، وقد ذكر هذا الحافظ ابن الأخضر فيمن روى عن أحمد في ترجمة أبي زرعة الرازي قال: سمعت أحمد ابن حنبل وذكر عنده إبراهيم بن طهمان وكان متكئاً من عِلَّةٍ فاستوى جالساً وقال: لا ينبغي أن نذكر الصالحين فنتكيء. (المقدسي، ١٤١٧هـــ-١٩٩٦م، ص٢٦ -٢٧).

وقال الإمام الشافعي رحمه الله: لا يطلب هذا العِلْم أحدٌ بالملك وعِزَّة النفس فيفلح، لكن من طلبه بذلة النفس، وضيق العيش، وخدمة العِلْم، وتواضع النفس أفلح، وقال أبو توبة البغدادي: "رأيت أحمد بن حنبل عند الشافعي في المسجد الحرام فقلت له: يا أبا عبدالله، هذا سفيان بن عيينة في ناحية المسجد يحدث، فقال: هذا يفوت وذاك لا يفوت.[13] وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "لما قبض رَسُول الله ﷺ

---

[13] يعني أن ما عند الشافعي من الفهم والفقه يفوت من لم يسمعه منه، وما عند سفيان من الرواية لا يفوت، لأنه يوجد عند غيره، ورويت عبارة أحمد بلفظ صريح في هذا، (المقدسي، ١٤١٧هـــ-١٩٩٦م، ٢٧)

قلتُ لرجل من الأنصار: هلمَّ فلنسأل أصحابَ رَسُول الله ﷺ فإنهم اليوم كثير، قال: واعجباً لك يا ابن عباس أترى الناس يفتقرون إليكَ، وفي الناس من أصحاب رَسُول الله ﷺ مَنْ فيهم؟ قال: فترك ذلك، وأقبلتُ أنا أسأل أصحابَ رَسُول الله ﷺ عن الحديث، فإن كان ليبلغني الحديثُ عن الرجل فآتي بابَهُ وهو قائلٌ فأتوسَّدُ ردائي على بابه تُسْفي الريحُ عليَّ من التراب فيخرج فيقول: يا ابن عم رَسُول الله ﷺ، ما جاء بك؟ ألا أرسلتَ إليَّ فآتيكَ؟ فأقول: أنا أحَقُّ أن آتيكَ، فأسأله عن الحديث، قال: فعاش ذلك الرجل الأنصاري حتى رآني وقد اجتمع الناسُ حولي فيقول: هذا الفتى كان أعقل مني. وفي الصحيحين أن رَسُول الله ﷺ قرأ على أُبَيٍّ بن كعب رضي الله عنه: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ [سُورَةُ البَينَة: الآيَةُ ١]، حيث قال النبي ﷺ لِأُبَيّ: "إن الله أمرني أن أقرأ عليك: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ...﴾" قال: "وسمّاني؟ قال "نَعَم" فبكى، (البُخَارِي، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م: ٤/١٨٩٦).[14]

قال بعضهم: قرأ عليه لتعليمه، وقال بعضهم: ليسنَّ التواضع في أخذ الإنسان من العلوم عن أهلها، وإنْ كانوا دونه في النسبِ والدين والفضيلة والمرتبة والشهرة وغير ذلك، ولينبِّه الناسَ على فضيلةِ أُبَيٍّ رضي الله عنه وتقديمه فيجتهدون في الأخذِ عنه، وإنما خصَّ هذه السورة لاقتضاء الحالِ الاختصار مع أنها جامعة، (المقدسي، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، ص٢٧).

وكان علي بن الحسين زين العابدين يدخل المسجد، فيشُقُّ الناسَ حتى يجلسَ في حلقة زيد بن أسلم، فعُوتِب في ذلك، فقال: إن العِلْم يُبتغى ويُؤتى ويطلب من حيث كان، وكان عروة بن الزبير يقول لبنيه: إنا كنا صغارَ قومٍ وإنا اليوم كبار، وإنكم ستكونون مثلنا إنْ بقيتم، ولا خير في كبير لا عِلمَ عنده. وقال عبدالملك بن عمير: لقد رأيت عبدالرحمن بن أبي ليلى في حلقة فيها نفر من الصحابة يستمعون لحديثه وينصِتونَ له، منهم البراء بن عازب. وعن الأصمعي قال: من لم يحمل ذلَّ التعلم ساعة، بقي في

---

[14] وأخرج مسلم في حديث رقم ٧٩٩.

Prince of Songkla University Pattani Campus

ذلك الجهل أبداً. وقال عبدالله بن المعتز: المتواضع في طلب العِلْم أكثرهم علماً، كما أن المكان المنخفض أكثر البقاع ماء، وقد نظم هذا أبو عامر النسوي فقال:

العِـــلْم يأتـــي كلَّ ذي
خَفْـــضٍ، ويـــأبى كُلَّ آبي
كالمـــاء ينـــزلُ في الوِهادِ
وليس يصعدُ في الرَّوابـــي

وكذلك ينبغي أن يتحمل الطالب ما يكون من الشيخ أو من بقية الطلبة لئلا يفوته العِلْم، فتفوته الدنيا والآخرة، مع حصول العدو طلبه. وشماتةُ الأعداء من الأربعة المأمور بالاستعاذة منهن في الصحيحين في قوله ﷺ: ((تَعَوَّذُوا بالله من جَهْدِ البلاء، ودَرْكِ الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء))[15] (البُخَارِي، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م: ٦/٢٤٤٠)

وقد قيل:

لـــمحبرةٌ تُجالســـني نهـــاري
أحبُّ إلي من أُنْس الصَّديقِ
ورزمةُ كاغَد في البيت عندي
أعزُّ إليَّ من عِـــدْلِ الدَّقِيـــقِ
ولطـــمةُ عالم في الخَـــدّ مني
ألَذُّ إليَّ من شـــرب الرحيـــق

(المقدسي، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، ص٢٨).

وقال الشافعي: غضب الأعمش يوماً على رجل من الطلبة فقال آخر: لو غضب عليَّ مِثلك لم أَعد إليه، فقال له الأعمش: إذاً هو أحمق مِثلكَ، يتركُ ما ينفعهُ لسوءِ خلقي، ذكره البيهقي، (المقدسي، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، ص٢٨).

وعند تسليط الضوء على علمائنا المسلمين في القرن العاشر الهجري وما بعده، نجدهم بإسهاماتهم في مجال العلم والابتكار كثير، وبمختلف التخصصات، فمن أمثلة

---

[15] أيضاً رواه (النَّسَائي، ٨/٢٦٩).

Prince of Songkla University Pattani Campus

لذلك حركة الترجمة والنقل التي اكتشفت نوابغ المسلمين، حيث يقول الدكتور عثمان مهملات: هناك حركة الترجمة والنقل؛ فلاشك فيها أنها حركة لا تقل أهمية عن الابتكار والاختراع فلو أن أبحاث أرسطو وجالينوس فقدت لكان العالم في افتقاره إليها بالوضع نفسه كما لو كانت غير موجودة أصلاً، ويقال إن كتاب علي بن العباس المعروف بـــ"كامل الصناعة" كان أول الكتب الإسلامية الطبية التي ترجمت إلى اللاتينية وقد كان لترجمته هذه مكانة بارزة في الجامعات الأوربية، إذ ظل مرجعاً أساسياً للعلوم الطبية حتى أواسط القرن السادس عشر الميلادي، وكان قسطنطين الإفريقي قد ترجم كتاب كامل الصناعة الطبية بين عامي ١٠٧٠- ١٠٧٨ ونسبه لنفسه متأثراً بالمنهج الذي كان يتبعه علماء أوربا آنذاك، ولم يعرف الدارسون من ألفه إلاَّ بعد أن ترجمه مرة ثانية إتيان الأنطاكي وذلك في أوائل القرن الثاني عشر الميلادي، ولهذا نري أن معظم نظريات ابن عباس الأهوازي سبق أن نسبت إلى علماء أوربيين (عثمان مهملات، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، ص٩٢- ٩٣).

ومن الأطباء المسلمين الذين أثرت أعمالهم تأثيراً بالغاً على الفكر الأوربي العلمي الرازي، الذي كان كتابه "الحاوي" من أعظم كتب الطب حتى نهاية العصور المتوسطة. وترجم في البدء على يد طبيب يهودي من صقلية يدعى فرج بن سالم بأمر من شارل الأول بعنوان (Liber Dictus Elhavi) وانتهى من ترجمته عام ١٢٧٩م ولكن ذلك الكتاب لم ينشر حتى عام ١٤٨٦م. كما أن هناك ترجمة أخرى ظهرت في البندقية عام ١٥٤٢ باسم (Continens Rasis). ثم أخذ يطبع باستمرار حتى وجد منه في منتصف القرن السادس عشر خمس طبعات مختلفة. بالإضافة إلى طبع العديد من المقالات المفردة منه، لذلك كان تأثيره على الطب الأوربي كبيراً للغاية (عثمان مهملات، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، ص٩٣).

ومن الأطباء الذين أثروا تأثيراً عميقاً على الطب في العالم أجمع ابن سينا الذي كان مما أَلَّفَهُ كتاب "القانون في الطب" والذي يعتبر جامعاً للمعلومات الطبية في ذلك العصر، حيث احتوى هذا الكتاب على معظم البحوث الطبية للأطباء الذين سبقوه.

Prince of Songkla University Pattani Campus

وترجم "القانون" في القرن الثاني عشر إلى اللاتينية عن طريق جيرارد الكريموني كما ترجمه أيضاً إلى اللاتينية أندريا الباجوا في أوائل القرن السادس عشر بعد أن قضى أكثر من ثلاثين عاماً في الشرق ووضع قاموساً للمصطلحات التي كان يستعملها ابن سينا نشر عام ١٥٢٧م (عثمان مهمـــلات، ١٤٢١هـــ-٢٠٠٠م، ص٩٣- ٩٤).

إذن فطلب العلم النافع أمر لا جدال في أهميته، وهو في الإسلام مقدم على العمل، وقد ذكر أبوالهلال العسكري أنه لا يتم إلا بستة أشياء: "ذهن ثاقب، وزمان طويل، وكفاية، وعمل كثير، ومعلم حاذق، وشهوة، وكلما نقص من هذه الستة شيء نقص بمقدارها من العلم" (عبدالله عبدالحميد، ١٤١٥هـــ-١٩٩٤م ص١٠- ١١).

وقد صاغها بعضهم شعراً وقيل إنه لعلي بن أبي طالب ﷺ وقيل إنه للإمام الشافعي -رحمه الله- (الزونوجي: برهان الإسلام، تعليم المتعلم طريق التعلم، ص١٤).

ألاَ لاَ تنال العـــلم إلا بســـتة

سَـــأنبيك عن مجموعها ببيان

ذكاء وحرص واصطبار وبُلْغَةٌ

وإرشـــاد أستاذ وطول زمان

(الشافعي، ديوان الشافعي، ص٨١).

فذكاء المتعلم و قُدْرَته، و جِدِّه و رَغْبَته والزمن الذي يقضيه في التعلم غير كاف لحصول المطلوب، ولا يكتمل لطالب العلم ما أراد إلا مع وجود من يقوم بإرشاده وتوجيهه والعناية به، ألا وهو المعلم.

وقد بلغ من اهتمام السلف بالمعلم والبحث عنه ما نصح به الإمام الشافعي -رحمه الله- حيث يقول: "لا ينبغي لأحد أن يسكن بلدة ليس فيها عالم ولا طبيب" فالطبيب لصحة البدن والعالم لسلامة الفكر والمعتقد. (ابن عبدالبر، الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء، ص٩٩).

كما وضح بعض العلماء شـــروطاً لتعلم العلوم وتعليمها فذكر منـــها "أن يقرأ (أي الكتب) على شيخ عارف عالم به، أمين ناصح، وعلى (المتعلم) ألاَّ يستبد

Prince of Songkla University Pattani Campus

بنفسه ولا يعتمد على ذكائه" (زكريا الأنصاري الشافعي، ١٤٠١هـ، ص٢٠- ٢١.) فتصفح الكتاب وقراءة الأسطر لا يؤدي جوهر المطلوب ولا يوصل إلى عمق الهدف من التعليم، لذلك حرص الشاطبي على أن يكون التعليم عن طريق لقاء الطالب بمعلمه فيقول في ذلك: "المشافهة خاصية جعلها الله تعالى بين المعلم والمتعلم يشهدها كل من زاول العلم والعلماء، فكم من مسألة يقرؤها المتعلم في كتاب ويحفظها ويرددها على قلبه فلا يفهمها، فإذا ألقاها إليه المعلم فهمها بغتة وحصل له العلم بالحضرة.." (الشاطبي، ١/٦٠).

وقد استنتج أحد الباحثين من القول السابق عدة فوائد تحصل للمتعلم إذا تم تعليمه عن طريق المعلم:

١) تعلم أسلوب التفكير والتحصيل.

٢) الاقتداء بسلوك المعلم.

٣) تعلم أساليب الحديث والنطق بالعربية. (بريكان القرشي، القدوة ودورها في تربية النشء، ص٧٤).

ويرى البعض إلى أن طلب العلم قد يكفي فيه الرجوع إلى المصادر والمراجع وأمهات الكتب، إلا أن الحقيقة التي لاشك فيه أنها من أسس التعلم فلابد أن يكون أيضاً عن طريق المعلم، وأن احتياجهم إلى العلماء أمر وارد، فمقامهم عظيم، فالإنسان يولد ولديه من القدرات ما تمكنه من أن يعيش، كقدرته على الرضاعة والبكاء والتبول،...لذا نجد في موضع آخر من الكتاب العزيز يحصر الله خشيته في العلماء فيقول: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ [سُورَةُ فَاطِرٍ: الآيَةُ ٢٨].

ففي الآيَةُ إثبات الخشية للعلماء ونفيها عن غيرهم، (ابن تيمية، د.ت، ص٧٦). يقول ابن قيم الجوزية: "وهذا حصر الخشية في أولى العلم". (مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ١/١٧٣). وقد أثنى الرسول ﷺ على طالب العلم وضمن له طريق الجنة في طلبه للعلم، فقال في حديث أبي الدرداء ﷺ "من سلك طريقاً يطلب

فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة..»، (البُخَارِي، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م: ١/٣٧).[١٦] وفي الحديث الآخر عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدِّين»، (البُخَارِي، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م: ٦/٢٦٦٧)،[١٧] و روي عن بعض العلماء قوله: "أغد عالماً أو متعلماً ولا تغد بين ذلك". (النسائي: أبو خيثمة زهير بن حرب، كتاب العلم، ص٦).

فالعلوم لدى المسلمين ليس مقصر على الدِّينية فحسب، بل ممتد نحو الآفاق، حيث يقول الشيخ الهلالي: "نحن لسنا من أعداء المعارف الحقة، ولا من أضداد فرع من فروع العلوم الأجنبية الصحيحة، لأن الإسلام دين غايته العليا الحقيقية، وغرضه الأسمى تخليص الإنسانية مما ران على فطرتها من خبث الأوهام، وقذر المعتقدات الباطلة، فغايته -وله المثل الأعلى- كغاية مذاهب (أوجست كونت) و(باكون) وغيرهما في تنقية المدارك من أدران الباطل، وأسلوبه أدق من أسلوبهما" (محمد فريد، ١٣٨٦هـ-١٩٦٧م).

٢،٤- دور العلم الشرعي الضروري في بناء جيل مسلم

على الرغم من كل ما قدمته الحضارة الغربية اليوم من وسائل للراحة وما أنتجته من أنواع الصناعة لخدمة الإنسان، وما أبدعته من أساليب لحياة الرفاهية والمتعة لبني البشر، فإنها لم تستطع أن تؤمن له حاية (حياة) السعادة والاطمئنان، سعادة القلب واطمئنان النفس. وليس بمقدورها خلق الأمل والرجاء في فؤاد الإنسان، وإن أرقى ما

---

[16] وابن ماجه، سنن ابن ماجه، المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، جـ١، ص٨١، حديث رقم ١٧/ ٢٢٣. وأبُودَاوُد: سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أب داود، كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم، جـ٤، ص٥٧، حديث رقم (٣٦٤١). وأحمد بن حنبل، المسند، جـ٥، ص١٩٦.

[17] ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي..»، جـ٣، ص١٥٢٤، حديث رقم ١٧٥/ ١٠٣٧. وابن ماجه، سنن ابن ماجه، المقدمة، باب فضل العلماء، جـ١، ص٨٠، حديث رقم ١٧/ ٢٢٠، واللفظ لهما.

Prince of Songkla University Pattani Campus

وصل إليه العلم الحديث اليوم، إنما يحقق إسعاد الجانب المادي ومتعة الجسد ولذته ورفاهيته. أما الجانب الروحي والإيماني فإن هذه الحضارة تفقده في ذاتها فكيف تعطيه لغيرها "وفاقد الشيء لا يعطيه".

إنها زادت الحياة تعقيداً واضطراباً، وبذلك كثرت الإصابات بالأمراض النفسية والعصبية وارتفعت النسبة في ذلك ارتفاعاً ينذر بالخطر فعاش القوم هناك في قلق نفسي وفراغ روحي وفقد للثقة والأمل، وأصابتهم السآمة والملل من هذه الحياة المعقدة المضطربة، وكم يتملكنا العجب حينما نعلم أن أرقى دول العالم اليوم يُقْدم بعض أبنائها على الانتحار، مللاً من هذه الحياة التي ألفوها واعتادوها ودرجوا عليها، وتوفر لهم فيها كل شيء (موسى الأسود، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، ص٣١- ٣٣).

إن هذه الحضارة قدمت للبشرية الكثير ووصلت بها إلى شأو بعيد، في سلّم الرقي والمدنية، ووضعت بين يدي الإنسان قمة الابتكار العقلي في مجال الصناعة والذرة والعمران والتطور في كل شيء، بحيث لم تكن الأجيال السابقة تحلم بهذا. وحاولت إسعاد الإنسان لكنها! أخفقت في ذلك لافتقادها لأسباب السعادة وعناصرها ومقوماتها.

برعت في كل مجال، ونشطت في كل ناحية، وأبدعت في كل شيء حتى إنها جعلت الإنسان يسكن ناطحات السحاب ويحلّق في الجو ويغوص في البحر ويقطع أطراف العالم في ساعات، لكن هذا كله لا يكفي لإسعاد الإنسان فهو مركب من مادة وروح، ولابد من إعطاء كل جانب حقه وما يسعده، بحيث لا يطغى جانب على آخر ولا ترجح إحدى كفتي الميزان على أختها، والإنسان يذوق طعم السعادة حينما يقدم له الجانب الروحي بصفائه وحلاوته ونضارته كما يقدم له الجانب المادي بحسن مظهره وجميل شكله.

وفي الإسلام لا تطغى المادة على الروح، فيغدو الإنسان مادياً صرفاً لا يؤمن بالمثل والقيم ولا يعترف على الأخلاق والفضائل، ولا تطغى الروح على المادة فينعزل الإنسان عن المجتمع ويعيش في زوايا الحياة ويحيا حياة الرهبان، وربنا ﷻ أباح لنا الطيبات وحرم علينا الخبائث، وحينما أباحها لنا أيقظ فينا الشعور نحو الآخرة الخالدة

Prince of Songkla University Pattani Campus

والباقية لئلا ينصرف القلب عن الله ويتعلق في الدنيا، فكُلْ ما شئت والْبس ما أحببت مما أباحه الله، واسْكن أي القصور أردت، وتنقّل بالمراكب الفارهة، ولكن شريطة أن تتقي الله، فتستعمل هذه النعم فيما أباحه وشرعه. اسمع إلى القرآن الكريم يقول ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ ﴾ [سُورَةُ الأَعْرَافِ: الآيَةُ ٣٢] (موسى الأسود، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م، ص٣١- ٣٥).

لقد حاولت الحضارة القائمة اليوم إسعاد الإنسان عن طريق النعيم المادي والمتعة الجسدية، وحَسِب أناس أن سعادتهم كامنة في توفر المال والغنى، ورفاهية العيش ورغد الحياة والتوسع في مطالب الجسد وتحقيق جميع رغباته وحاجاته من أساسيات وكماليات بحيث جعلته يظن أنه سينجو من تعاسة الحياة وسيقضي على الضيق والتبرم الذي يلازمه، والسأم والمَلَل الذي يلاحقه ويطارده.

لقد سمعنا عن سكان أرقى دول العالم المتحضر اليوم الذين يعيشون في مستوى اقتصادي يحسدون عليه، وهم في حالة من الرفاهية منقطعة النظير. ولا تكاد تجد بينهم فقيراً أو محتاجاً، وهم لا يخشون الفقر ولا يحسبون لعوادي الدهر أي حساب، فالدولة تضمن لكل من أصابته مصيبة أو حلّت به كارثة إعانات كبيرة ومساعدات واسعة، ومع ذلك فهم ليسوا سعداء. كتب أحد محرري الصحف مقالاً بعنوان "أهل الجنة ليسوا سعداء"، ويقصد بأهل الجنة سكان السويد الذين يحيون حياة الترف والنعيم والرفاهية والتوسع في ملاذ الحياة، ورغم كل ذلك فإن الناس هناك يحيون حياة القلق والاضطراب والتوتر والسخط والتبرم واليأس، فيلجأ البعض منهم إلى الانتحار تخلّصاً من العذاب النفسي الذي لا ينفك عنه، ولكن المسلم لا يقدم على هذه الجريمة في كلا الحالات سواء أكان فقيراً معدماً، أم غنياً مترفاً، ولا يجرؤ على الانتحار بحال لأنه في حالة الفقر صابر، وفي حالة الغنى شاكر، ولِمَ ينتحر وهو يشعر بالسعادة والغبطة والاطمئنان

Prince of Songkla University Pattani Campus

ويحس بجمال الروح وصفاء النفس، (موسى الأسود، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، ص٣٣- ٣٥).

وهو يعتبر أن هذه الحياة قصيرة الأمد على امتدادها ضيقة على سعتها، وإنها فرصة للتزود من العمل الصالح والإكثار من فعل الخير، ليلقاه أمامه في الآخرة. وإن طول العمر بالنسبة للمسلم خير يطلبه من الله ليحظى بأكبر قدر من الصالحات وفعل الخيرات، وعندما سُئل المصطفى ﷺ عن أي الناس خير؟ قال: "من طال عمره وحَسُنَ عمله" (التِّرْمذي، ١٣٨٢هـ-١٩٦٢م: ٥٦٦/٤).

إن تعاليم الإسلام تجعل المسلم أكثر اطمئناناً وراحة لقلبه وضميره، ولديه الأمل والرجاء، وهو يعتمد في حصوله على الثواب والأجر في اليوم الآخر، والسعادة شجرة ورافة الظلال تضرب جذورها في قلب الإنسان وتحيا وتثمر بالإيمان وهو طعمها وغذاؤها، ويخطئ كثير من الناس حينما يتصورون أن السعادة وفَّرة المال وهناءة العيش والتوسع في الكماليات، وإشباع رغبات الجسد.

ولست أرى السعادة جمع مال

ولكن التقي هو السعيد

وكم كان المال سبباً في شقاء صاحبه وتعاسته!. ولنتأمل آيات القرآن الكريم وهي تصور المال بأنه يجر لصاحبه العذاب ويكون سبب شقائه، ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [سُورَةُ التَّوْبَة: الآيَةُ ٥٥] (موسى الأسود، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، ص٣١- ٣٥).

ويقول الرسول ﷺ: "مَنْ كانت الآخرة همّه جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمْله، وأتته الدنيا وهي راغمة. ومَنْ كانت الدنيا همّه جعل الله فقره بين عينيه، وفرّق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قدّر له"[18] (التِّرْمذي، ١٣٨٢هـ-١٩٦٢م: ٦٤٢/٤).

[18] السندي، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م: ٤٢٥/٤).

Prince of Songkla University Pattani Campus

لقد بدأ العقلاء من الغربيين يبحثون عن الحقيقة ويتطلعون إلى حياة الروح وينشدون السعادة في كل سبيل ليتخلصوا من هذا القلق النفسي والخواء الروحي والاضطراب الذي يشعرون به، لتكون لهم العاصم من أخطار موجات المادة العاتية، وخشبة الإنقاذ في حياتهم المترفة والمتخمة بالكماليات، فلقد سئموا تلك الحضارة وكرهوا حياة الصخب والضجيج والمظاهر والأشكال، فهذه فتاة على مستوى عال من الثقافة والاطلاع تقول حاولت أن أعمل لدى عائلة شرقية أثناء دراستي لأستعين على تأمين معيشتي، وقلت في نفسي عسى أن أجد عندها الجو الروحي الذي يحفظ لي كرامتي وإنسانيتي ووقع حظي على عائلة "هندوسية" ويؤسفني أن أقول بأني لم أجد فيهم ضالتي لقد وجدتهم ذوي أرواح خالية صفراء (موسى الأسود، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، ص٣١- ٣٥).

ويقول أحد المستشرقين بعد أن أسلم "إن هذه الحضارة تفقد الشرف والجمال" وعندما قيل له أما فقدانها للشرف فهذا لاشك فيه، فكيف تكون فاقدة للجمال وهي التي عنيت بجمال الطبيعة والمظهر والعمران وكل شيء؟! فقال: "إنها فقدت جمال الروح والخلق والذوق الرفيع!"، إن السعادة أمر معنوي لا يدرك بالمال ولا السلطان ولا بالشهوة واللذة، إنها نعمة من السماء إلى قلب المؤمن وهبة من الله يقذفها في قلب من شاء من عباده فيهديهم للإيمان، إنها ثمرة من ثمار هذا الإيمان وفاكهة عذبة المذاق متصلة بشجرة التوحيد.

ولن يقر للبشرية قرار وتصل إلى شاطئ الأمان والسلامة إلا إذا أدركت الصواب والحق، واهتدت إلى الطريق المنقذ من الهلاك والدمار وهو الإسلام، رسالة السماء الخالدة وخاتمة الديانات وكلمة الله الأخيرة إلى الأرض. ولنعلم أنه لا سعادة بغير إيمان ولا طمأنينة بلا يقين، (السباعي، من روائع حضارتنا. موسى الأسود، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، ص٣١- ٣٥).

Prince of Songkla University Pattani Campus